



## + آباؤنا القديسون

### البار إيلازيون الكبير

تعيّد الكنيسة المقدسة الجامعة ، شرقاً وغرباً ، في الحادي والعشرين من تشرين الأول لتذكّار البار إيلازيون (بهيج) الكبير الذي يُعتبر مؤسس الرهبنة في بلاد فلسطين ويمثّله القديسين أنطونيوس وباخوميوس في الديار المصرية.

ولد إيلازيون عام ٢٩١ في قرية تابا ، على بُعد خمسة أميال من غزّة في فلسطين ، من والدين وثنيين وغيّين. أرسله والداه منذ نعومة أظفاره الى الإسكندرية ليدرس فيها ، وهناك سمحت له العناية الإلهية أن يلتقي بعض المعلمين المسيحيين ، فاهتدى واقتبل سرّ المعمودية.

لما بلغ الخامسة عشرة من عمره ، وكان قد سمع بالقديس أنطونيوس ، قصد الصحراء للتعرف إليه والتلمذ على يديه في الحياة الرهبانية والنسك والتقشف. أعطاه أنطونيوس ثياب الرهبنة فخلع ثيابه وابتدأ حياته الرهبانية حافظاً سيرة روحية مقدسة ، وكان يقوم بتطبيق إرشادات معلّمه أنطونيوس بكل تدقيق وعناية. بعد شهرين ، وبسبب كثرة الزائرين الذين يقصدون أنطونيوس في البرية طلباً للشفاء أو لإرشاد الروحي ، أراد إيلازيون الانتقال الى مكان آخر لأنه كان يخاف على نفسه من أن يجربه الشرير بسبب طراوة عوده الروحي وحادثة عهده بالرهبنة ، في حين أن أنطونيوس لا خوف عليه من الناس ولن يقربه أي ضرر روحي بسبب تمرّسه القديم في الحيلة الروحية وتقدّمه في الجهاد. بارك أنطونيوس إيلازيون وزوّده بالإرشاد الروحي الضروري وأعطاه الإسكيم الرهباني وأطلقه ليعود الى بلاده في فلسطين.

عاد ، وكان والداه قد فارقا الحياة ، فوزع ما يخصّه من الأملاك على الفقراء والمساكين وسكن في البرية بالقرب من مايوما ، وهي مرفأ غزّة. كان ذلك عام ٣٠٧. ويُقال أن هذه البرية كانت مقصداً أو ممراً لقطّاع الطرق والسارقين ، لكنه ذهب الى هناك متسلحاً بالفضائل والقوة الإلهية . يروى أن اللصوص دخلوا عليه مرّة وسألوه : " ألا تخاف اللصوص؟" فأجاب : " من لا يملك شيئاً لا يخاف أحداً " . فقالوا : " ألا تخشى الموت ؟ " فقال : " كيف أحشاه وأنا أستعدّ له في كل ساعة ؟ " . عند سماع كلامه عزموا على تغيير سيرتهم .

يتحدث القديس إيرونيموس Jerome (٣٤٢-٤٢٠) عن إيلازيون فيقول انه عاش حياة زهد وتقشف تفوق الوصف. فقد كان يعرف الكتاب المقدس عن ظهر قلب. وكان يلبس المسحّ دوماً وينام فوق قطعة فراش قديم ضمن كوخ يكاد لا يتسع له ، ويحتمل الحر الشديد والبرد القاسي. وكان يأكل مرة واحدة في اليوم ، بعد



## + آباؤنا القديسون

غروب الشمس ، نوعاً واحداً من الطعام ولمدة ثلاث أو أربع سنوات. فتارة يأكل الخبز والتين وطوراً العدس المنقوع بالماء البارد أو الخبز اليابس والملح والماء أو يأكل حشائش الأرض أو خبز الشعير. وحين يشعر بالضعف كان يضيف الى وجبته قليلاً من الزيت. وكان يقضى وقته في الصلاة وفلاحة أرض الصحراء المجدبة رغم علمه ان لا نتيجة لفلاحته، لكن همّه أن يدفن في التراب عرقه حتى تضعف نفسه فلا تنور عليه الأهواء.

تقدم إيلاريون في الحياة الروحية وازدادت هجمات الشرير الذي أراد الإيقاع به بمختلف التجارب. وقد دخل في حرب قاسية مع الشيطان مثل معلّمه أنطونيوس ، فظهر له الشيطان بمهيئة حيوانات مفترسة وبصورة نساء زانيات. وكان إيلاريون يضاعف الصلوات والأصوام وسلاحه الوحيد رسم إشارة الصليب ، وكان إسم يسوع لا يفارق شفتيه.

نتيجة جهاد الروحي الكبير أنعم الله عليه بموهبة العجائب فشفي المرضى وطرد الشياطين حتى ذاع صيته في المنطقة كلها وأتى الناس من مختلف الأمكنة للتبرك منه والشفاء من أمراضهم. فالنساء العاقرات حبلن بسبب صلواته والأطفال الذين يشارفون الموت شفوا وسبّحوا الله ، وتعرف عدد كبير من عبدة الأصنام على الإله الحقيقي ورجعوا الى الله بتوبة صادقة. وبسبب سيرته الملائكية قرر عدد كبير من المؤمنين من بلاد فلسطين وسوريا أن يهجروا العالم ويلتزموا في الصحراء مشاركين إياه النسك والصلاة. وهكذا انتشرت الرهبنة في فلسطين وقد نلهم عدد هؤلاء الرهبان الألفين. وكان يزورهم دوماً ويعطيهم الإرشادات الضرورية.

كذلك زاره عدد كبير من الأساقفة والكهنة والمؤمنين طالبين البركة وبعضاً من الخبز والزيت المباركين منه لإستعمالهما في بيوتهم. كان يرفض هدايا المؤمنين التي كانوا يقدّمونها له تعبيراً عن شكرهم على النعم التي حصلوا عليها بواسطة تضرّعاته، إلا أنه كان يطلب منهم أن يعطوها للفقراء والمساكين.

لما بلغ إيلاريون الثالثة والستين ، وكان توارد الناس عليه قد سبب له الامتناع في بعض الأحيان عن إتّلم جهاده الروحي وحرمة السكن والهدوء ، قرر الانصراف الى مكان هادىء ولم يصطحب معه سوى أربعين ممن تلاميذه.

ترك إيلاريون مايوما وتوجّه الى الصحراء المصرية حيث عاش القديس أنطونيوس ، وقطن هناك منفرداً مدة ثلاث سنوات. وحدث في ذلك الوقت جفاف ولم يهطل المطر ، فطلب منه سكان تلك البلاد الصلاة الى الله ليرسل المطر. فصلى واستجاب الله طلبته. بعدها انتقل إيلاريون الى الصحراء قرب الإسكندرية وذاع صيته هناك أيضاً بسبب الشفاءات والعجائب التي كانت تحصل بتضرّعاته، مما اضطره الى الهرب مجدداً الى ليبيا ومنها الى صقلية



## + آباؤنا القديسون

بصحبه تلميذه إزيكيوس . هناك أيضا تقاطر إليه الناس طلبا للشفاء ، بعدما سمعوا بحادثة شفاء ابن صاحب المركب الذي أقله من ليبيا الى صقلية ، فهرب الى دلماتيا. وهناك حدث في العام ٣٦٣ ، بعد موت الإمبراطور الجاحد يوليانوس ، زلزال قوي اندفعت معه مياه البحر نحو المدينة. فأخرج السكان إيلاريون ووضعوه عند حافة البحر مؤمنين أن المياه لا تستطيع أن تتجاوزه. فرسم إيلاريون إشارة الصليب ثلاث مرات ورفع يمينه مقابل البحر فتوقفت المياه وعادت الى البحر. بعدها هرب الى قبرص بعدما تكاثر الناس حوله وسكن في مغارة بعيدة عن الناس ، عاش فيها خمس سنوات. ولما بلغ الثمانين من عمره رقد بسلام في الرب. فأخذ تلميذه إزيكيوس جثمانه وعاد به الى الدير الأصلي في مايوما ، قرب غزة ، وصار جثمانه مصدر بركة وتعزية لكثير من المؤمنين. فيشفاة قديسك إيلاريون يا رب إرحمنا آمين.